

الصراع الدامي على المستقبل

الكاتب



عبدالله السناوي

عبدالله السناوي

بعد عام على الحرب الأوكرانية تتكشف طبيعتها، مباشرة وصريحة، باعتراف الرئيسين الأمريكي، جو بايدن، والروسي، فلاديمير بوتين.

إنه الصراع الدامي على مستقبل النظام الدولي، حساباته وموازين القوى والمصالح فيه

لم تكن مصادفة زيارة «بايدن» إلى كييف عشية العام الثاني من الحرب، أراد أن يرفع مستوى التعبئة السياسية والعسكرية خشية أن يفلت زمام الموقف من البيت الأبيض، أو أن تساور الشكوك أعضاء حلف «الناتو» في قوته ووحدته وقدرته على كسب معاركها العسكرية

ولا كانت زيارته إلى بولندا واجتماعاته فيها مع «مجموعة بوخارست»، التي تضم (9) دول تمثل الجناح الشرقي للحلف، مصادفة أخرى

أراد أن يبعث إلى البولنديين رسالة طمأنة باعتبارها الطرف الأوروبي الأكثر انخراطاً في الجهد العسكري لـ«الناتو» على الحدود مع أوكرانيا.. «إننا ماضون في الحرب ولن نسمح لروسيا بأن تكسبها

مداخلته في بولندا استهدفت التأكيد على «وحدة الحلف».. وأنه بات الآن أكثر قوة مما كان عليه قبل عام. كان ذلك عملاً تعبويًا لرفع منسوب الثقة العامة في أوساط الحلفاء

تبدت رسالة ثانية، رمزية هذه المرة، في اختيار العاصمة البولندية وارسو، كمنصة إطلاق لرسائله الجديدة

وبإرث التاريخ، فإن وارسو كانت مقراً وعنواناً لحلف عسكري مضاد لـ«الناتو»، يقوده الاتحاد السوفييتي السابق في سنوات الحرب الباردة. أراد أن يقول إننا هنا الآن، نبحث في المخاوف الأمنية لدول كانت إلى وقت قريب أعضاء في حلف «وارسو» من تمدد شرارات الحرب إليها

وبإلحاح ظاهر تطرق مرة بعد أخرى إلى التزامه بالمادة الخامسة من ميثاق حلف «الناتو»، التي تعتبر أن أي اعتداء على إحدى دوله اعتداء على الحلف كله. فيما تسرب عن اجتماعه مع «مجموعة بوخارست» أن قادتها طالبوه بتمركز أكبر للقوات الأمريكية في أوروبا لحمايتها من أية عمليات عسكرية روسية محتملة

لم يكن حديث «بايدن» عن طبيعة الحرب الأوكرانية كصراع على المستقبل، كلاماً عابراً في أجواء ملتبهة، بقدر ما كان تعبيراً دقيقاً عن حقيقة الموقف

والمعنى، أنه ليس وارداً أن تتخلى الولايات المتحدة بكل الوسائل المشروعة، أو غير المشروعة، العسكرية أو غير العسكرية، عن هيمنتها على النظام الدولي مهما كانت التبعات والتكاليف.. هذه هي الحقيقة الكبرى في كل ما جرى على مدى عام كامل

والحقائق غير الذرائع التي تردت طويلاً وكثيراً عن طبيعة الحرب، بأنها من أجل الديمقراطية وقيمها، أو دفاع عن أوكرانيا ووحدة أراضيها، أو حماية للأمن الأوروبي من أي تغول روسي عليه

من زاوية استراتيجية أمريكية، فإنها قبل كل شيء، دفاع عن الدور الأمريكي المهيمن على النظام الدولي المتهالك.. و«الناتو» كلمة السر في الإبقاء عليه وتواصل الهيمنة الأمريكية

ولمرات عدة، أعرب «بوتين» أنه يتطلع لبناء نظام دولي جديد أكثر تعدداً وعدلاً، لا تتحكم فيه دولة واحدة، من دون أن يكون لديه مشروع واضح يتعدى الشعارات العامة

وخاطب «بوتين» الضجر الدولي المعلن والمضمر، من هيمنة القطب الأوحده خلال سنوات ما بعد الحرب الباردة، وقد كانت مريرة، لكنه لم ينجح في اختراقات كبيرة ذات وزن في الجمعية العامة للأمم المتحدة بأثر الضغوط الدبلوماسية الأمريكية

في البداية، استخدم ذريعة الأمن الروسي إذا ما تمكن «الناتو» أن يتمركز على حدوده المباشرة مع أوكرانيا، أو أن تكون خنجرأ في الخصر على عكس ما تعهدت به الولايات المتحدة، مقابل موافقة موسكو على توحيد الألمانيتين مطلع تسعينات القرن الماضي

كانت تلك ذريعة مقنعة لمواطنيه. وكان سجل التهميش والعنصرية تجاه كل ما هو روسي في أوكرانيا ذريعة ثانية بررت ضم أربع مناطق أوكرانية إلى الاتحاد الروسي

مشكلة «بوتين» الرئيسية أنه لم يحظ بدعم من حلفاء أقوىاء يوازن ما توافر للولايات المتحدة. الصين، حليفه الاستراتيجي المفترض، تعرضت لحمولات ابتزاز متصلة تؤكد، من دون دليل واحد، أنها تمد موسكو بالذخائر والأسلحة، وأنها تنتوي أن تشارك في الأعمال القتالية بالفترة المقبلة

ونشرت تقارير استخباراتية في كبريات الصحف الأمريكية لوضع الصين تحت الضغط الشديد سعياً لإرباك خططها في

التقدم إلى الموقع الأول في الاقتصادات الدولية.

إذا تورطت في الحرب خسرت مستقبلها الاقتصادي الذي تطمح إليه. وإذا انزوت تخسر مستقبلها السياسي وتتهدها احتمالات الحرب في محيط تايوان.

وأخطر ما قد يحدث في العام الثاني للحرب أن تتسع دوائرها بالإفراط في التحرش بالصين، وبيلاروسيا، وأي حلفاء آخرين مفترضين.

ومع بداية العام الثاني من الصراع الدامي على المستقبل الاحتمالات كلها مفتوحة على التصعيد المتصل.

وفي خطوتين متضادتين، بالفعل ورد الفعل، جرى تراشق استراتيجي جديد بين اللاعبين الدوليين.

بايدن» أعلن عن حزمة عقوبات جديدة على موسكو تشمل وضع سقف لأسعار الغاز الروسي. سلاح العقوبات القاسية» لم ينجح في «تركيع موسكو» لكنه، يقيناً، أرهاقها اقتصادياً

بوتين» بالمقابل رد على الضربة الاقتصادية الأمريكية بضربة استراتيجية روسية»

ألغى من طرف واحد اتفاقية «نيو ستارت» التي تمنع الانزلاق إلى سباق تسلح استراتيجي ونووي بين القطبين الكبيرين

كان ذلك تصعيداً خطراً في مستوى المواجهة، أو تلويحاً جديداً بالخيار النووي

أراد «بوتين» أن يقول: هناك خطوط حمراء إذا ما جرى تجاوزها بتهديد الداخل الروسي، أو العمل على تقسيمه وتقسيم حجمه في معادلات القوة الدولية فإن كل شيء محتمل

وبين نظام دولي قديم ومتهالك يكاد أن يكون أطلاقاً، ونظام دولي جديد يتعثر في ميلاده، يدخل العالم كله إلى عام آخر من الحرب الأوكرانية بتصعيد عسكري متفعل وأفق سياسي مسدود